

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[416] - عامّة - وهو الرجم بالحجارة، الذي يعد واحداً من أسوأ أنواع القتل. (1)

ولما رأى نوح أن دعوته المستمرة الطويلة بما فيها من منطق بيّن... وبما يقتدر بها من إصطبار، لم تؤثر إلاّ في جماعة قلة آمنوا به... شكا إلى ربّه أخيراً، وضمن بيان حاله، سأل ربه أن ينجيّه من قبضة الظالمين، وأن يُبعده عنهم... إذ (قال ربّ إن قومي كذبون). وصحيح أن الأ مطلع على كل شيء، إلاّ أنه لبيان الشكوى وتمهيداً للسؤال التالي، يذكر نوح مثل هذا الكلام. وممّا يلفت النظر أن نوحاً لم يشتك من المصائب التي أُبتلي بها، بل اشتكى من تكذيب قومه إيّاه فحسب، إذ لم يصدقوه ولم يقبلوا رسالته الالهية لهدايتهم... ثمّ يلتفت إلى ربّه فيقول: والآن حيث لم يبق طريق لهداية هؤلاء القوم فاقض بيننا وافصل بيني وبينهم: (افتح بيني وبينهم فتحاً). "الفتح" معناه واضح، وهو ما يقابل الغلق ويضاده، وله استعمالان... فتارة يستعمل في القضايا المادية كفتح الباب مثلاً، وتارة يستعمل في القضايا المعنوية كفتح الهمّ ورفع الغم، وكفتح المستغلق من العلوم، وفتح القضية، أي بيان الحكم حسم النزاع! ثمّ يضيف فيقول: (ونجّني ومن معي من المؤمنين). وهنا يعبر القرآن عن إدراك رحمة الأ نوحاً، وإهلاك المكذبين بعاقبة وخيمة مفاجئة، إذ يقول: (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي المليء بالناس وأنواع الحيوانات (ثمّ أغرقنا بعدُ الباقيين)... "المشحون" مأخوذ من مادة (شحن) على وزن (محن) ومعناه المملوء، وقد _____ 1 - "الرجم" مأخوذ من (رجام) على وزن (كتاب) وهو جمع (رجمة) على وزن (لقمة) ومعناها القطعة من الحجر التي توضع على القبر، أو ما يطوف حوله عبدة الأوثان، كما يعني الرجم القذف بالحجارة حتى القتل، كما يأتي أحياناً بمعنى القتل بأيّ شكل كان، لأن القتل كان بالحجر سابقاً.